البواشق

الباشق

صفاته وسلالاته. اتفق كشاجم في كتابه المصايد والمطارد والدميري في كتابه حياة الحيوان والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى والنويري في كتابه نهاية الأرب على أن الباشق صنف من أصناف البزاة. وشاركهم في قولهم هذا صاحب كتاب الصيد والطرد عند العرب، ولكن جعله صاحب البيزرة جارحاً مستقلاً بنفسه، وقدمه على سائر الجوارح بما فيها البازي، مخالفاً بذلك جميع مؤلفي كتب البيزرة الذين لا يقدمون على البازي جارحاً من الجوارح. والباشق لفظ أعجمي معرب (الباشا ١٩٨٣: ١١٣).

طائر يصاد به، أصفر العينين، أخضر الرجلين، أصغر حجماً من البازي، ومن أسمائه الطوط، الجمع طيطان، والعلاَّم. قال الدميري: وكنيته أبو الآخذ، وهو حار المزاج يغلب عليه القلق والزعارة، يأنس وقتاً ويستوحش وقتاً، وهو قوي النفس، فإذا أنس منه الصغير بلغ صاحبه من صيده المراد، وهو خفيف المحمل ظريف الشمائل يليق بالملوك أن تخدمه، لأنه يصيد أفخر مما يصيده البازي، وهو الدراج والحمام والورشان، وهو كثير الشبق، وإذا قوي عليه صيده لا يتركه إلا أن يتلف أحدهما. وأحمد صفاته أن يكون صغيراً في المنظر، ثقيلاً في الميزان، طويل الساقين قصير الفخذين.

ويستخدم الباشق المدرب بنجاح كبير في صيد السمانى في المناطق الساحلية من تركيا وسورية. وهو أصغر حجماً من البازي وأقل وزناً حيث يزيد وزن البازي عنه بحوالي ٣ مرات، إذ يبلغ وزن البازي ثلاثة أرطال ونصف الرطل، ولا يزيد وزن الباشق عن ١٣٠ درهماً (الرطل ١٤٤ درهماً). وهو ألطف من البازي وأقرب منه إلى الألفة، وهو أخف

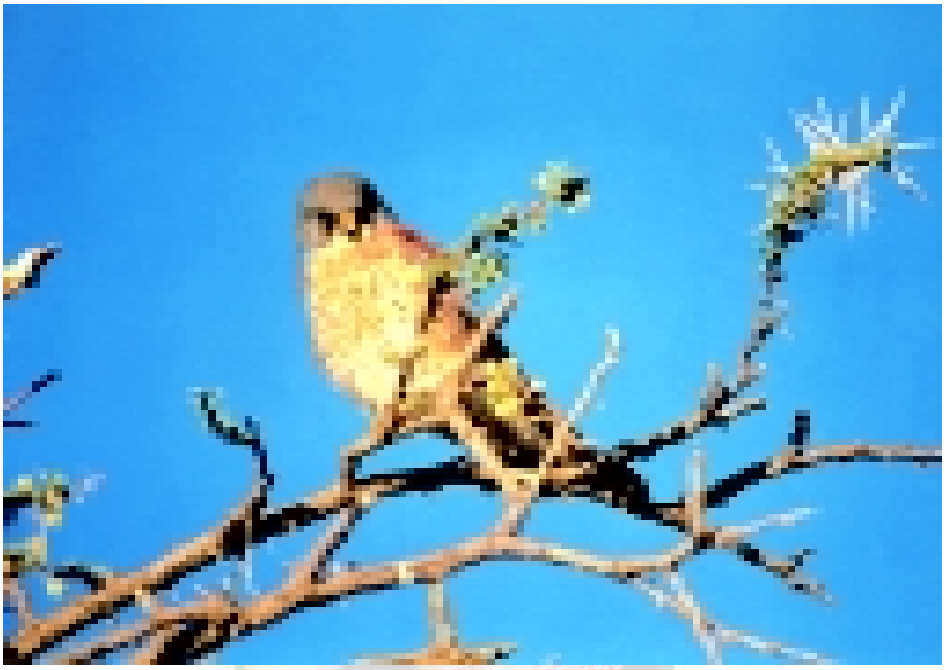

الباشق، صقر العصافير

الجوارح طيراناً، وأسرعها نهوضاً، وأصغرها جثة، بيد أنه قلق يأنس حيناً ويستوحش حيناً آخر، وهو يشارك البازي في حدة المزاج وقوة النفس. وهو حسن الصورة، خفيف المحمل، حلو الشمائل، يليق بالملوك، والعامة في مصر والشام تطلق عليه اسم السَّاف (الباشا ١٩٨٣: ١١٥).

قال فيه الشاعر:

أخفُّ القوانص جسماً وروحاً
وأجمَعُها لأُمورٍ أمُورا
وأكرمها باشق حاذق
يساوي البزاة ويشأى الصقورا
يقلب عينين ياقوتتين
ترى التبر حولهما مستديرا

يبلغ طول الباشق من ٢٨ إلى ٣٨سم (طول الذيل من ١٣ إلى ١٧سم)، والمسافة بين طرفي الجناحين المفرودين من ٥٥ إلى ٧٠سم. قريب في حجمه من القيمي والأنثى أكبر حجماً من الذكر بحوالي ٢٥٪. صقر باطش متهجم شديد الاندفاع، له جناحان قصيران مدوران. وذيل طويل مربع الطرف. عندما يطير يخفق بجناحيه في ضربات سريعة متلاحقة. لون السطح الظهري رمادي داكن في الذكر، وبني غامق في الأنثى،

السطح البطني في الطير اليافع أفتح لوناً بشكل واضح، مع تخطيط متقارب بخطوط برتقالية في الذكر وبنية في الأنثى، والذيل مخطط بخطوط متباعدة. تلاحظ غالباً بقعة بيضاء مشكلة ما يشبه الحاجب فوق العين في الأنثى. الجنسان غير متشابهين. لا توجد تغيرات فصلية في الشكل.

يبلغ متوسط طول العمر في الباشق من سنة إلى ٤ سنوات، وقد سجلت حالة طائر حجّل عاش لمدة ١١ سنة و٧ أشهر.

عند طيرانه فوق المناطق المفتوحة، أو عند قيامه بالصيد، يخفق بجناحيه خفقات سريعة متتالية تتخللها انزلاقات قصيرة، كما يُحوِّم في دوائر صغيرة، وجناحاه مفرودان ممتدان إلى الأمام قليلاً، والذيل غالباً مقفل، ولكنه أحياناً يفرد ريش الذيل بشكل مروحي، خصوصاً عند بداية التحويم. يجذب غالباً العصفوريات بمثل طيرانه هذا. وعندما يصطاد فإنه يطير على ارتفاعات منخفضة فوق الأشجار والنباتات، ويهاجم الطيور الصغيرة بأسلوب المباغتة والانقضاض المميز لجنس البزاة. يطير للصيد في مسارات منتظمة منتقياً فرائسه من مجتمعات الطيور الصغيرة. يتجنب عادة المناطق المأهولة بالسكان على الرغم من كثرته في أراضي المزارع، وكثيراً ما يرى محوماً فوق منطقة تعشيشه. يطير منفرداً معظم العام حتى أثناء الهجرة، إذ نادراً ما يطير في أسراب. ويكون أكثر انتشاراً خلال الشتاء.

وهو طائر نشيط الطيران، يغطي عادة دائرة قطرها من ٢ إلى ٣كم يومياً، ويصعد عالياً فوق قمم الأشجار في استعراض، وأحياناً يحوِّم فوق منطقة تعشيشه أو يقطع مسافات أطول. دائم الشك والخوف من الإنسان.

في سلالات أوروبا وشمالي غرب أفريقيا يكون السطح الظهري في بعضها رمادياً داكن اللون، وفي بعضها الآخر يكون أفتح ضارباً إلى الزرقة.

يكون السطح البطني في الذكر البالغ مخططاً بخطوط متقاربة ذات لون محمر صدئ، ويظهر برتقالياً متجانساً من على البعد. كواسي تحت الجناح أكثر بياضاً، ومخططة بخطوط متقاربة. ريش الطيران لونه أصفر برتقالي مبيض جيد التخطيط. الذيل رمادي اللون عليه من ٤ إلى ٥ خطوط ويستدق في اتجاه الطرف الأبيض. كواسي تحت الذيل بيض اللون.

الأنثى البالغة أضخم جسماً من الذكر، ولون السطح الظهري فيها بني

داكن أو رمادي بني. ويوجد في بعض الإناث بقعة بيضاء في مؤخرة الرأس. السطح البطني مخطط بالبني وأحياناً يكون محمراً صدئ اللون على الكفلين، وتحت الجناحين مخطط بوضوح.

أما في السلالة الكورسيكية والسرديـنية فالجنسان أصغر حجماً وأدكن لوناً على السطح الظهري، وأكثف تخطيطاً على السطح السفلي أو البطني.

ويمكن أن يحدث التباس في التمييز بين أنثى الباشق الكبيرة الحجم وذكر البازي الصغير الحجم، ولكن يمكن تمييز الباشق عن البازي بكونه أصغر حجماً وأنحف قواماً، خصوصاً عند الصدر، وأجنحته أقل طولاً، وذيله مربع النهاية لا مستديرها كما في البازي، كما أن خفقان أجنحته أسرع في معدله مما هو عليه في البازي.

ويمكن تمييز الباشق من القيمي بأن أطراف جناحي الباشق ليست سوداء وخطوط ذيله أقل عدداً مما هي عليه في القيمي (٤ إلى ٥ خطوط في الباشق، ٦ أو أكثر في القيمي) مما يجعل السطح السفلي لذيله يظهر أكثر شحوباً في اللون أي أفتح لوناً مما هو عليه في القيمي.

ويتغذى الباشق غالباً على الطيور الصغيرة. ويعتمد في طريقة صيده على طريقة المباغتة فيكمن في مكان غير ظاهر حتى تمر بقربه فريسة فيطير منخفضاً متخذاً طريقاً متعرجاً يستتر فيه بالتضاريس الأرضية لمسافات قصيرة تتخللها وقفات لعدة دقائق في كل مرة. ثم يطير بسرعة منخفضاً أيضاً إلى الموقف التالي ويكون ذلك عادة لمسافة تتراوح من ٥٠ إلى ١٠٠م في كل مرة إما داخل الأشجار الكثيفة أو منتقلاً من بقعة شجرية إلى بقعة شجرية أخرى بعدها، ثم ينقض على الفريسة فيمسكها وهي جاثمة أو محلقة في الهواء، ويتم ذلك أحياناً بعد مطاردة طويلة. وإن حلقت الفريسة عالياً فإنه كثيراً ما ينقلب طائراً على ظهره ويقنصها من أسفل، وإن اختفت داخل أكمة شجرية، فقد يتبعها ماشياً على قدميه كما يطير منخفضاً على جانبي صفوف الأشجار والشجيرات أو الجداول المائية أو المباني متنقلاً من جانب إلى آخر بالتبادل، مستعداً للانقضاض على أي طائر يوجد داخل دائرة بصره.

ويقبض على الفرائس الصغيرة الحجم بمخالب قدم واحدة أثناء طيرانه ويقبض على الفرائس الكبرى بمخالب

القدمين معاً. وغالباً لا يقتل الفريسة الكبيرة الحجم عندما يقبض عليها بمخالبه ولكنها لا تلبث أن تنفق بعد فترة أثناء قيامه بتمزيقها والتهامها. وأحياناً يحلق إلى ارتفاعات عالية ثم ينقض منحدراً بسرعة على فريسته التي تطير أسفل منه. ويأكل فريسته في مكان مغطى بالأشجار، وهو جاثم على فرع شجرة مكنون أو في عش قديم. ولا يأكل من الطيور الكبيرة الأقدام والمنقار وحزام الكتف وعظم القفص، وأحياناً يرمي بالأمعاء ولا يأكلها.

يصطاد عادة في الغابات ذوات الأشجار المتساقطة الأوراق والمناطق المفتوحة وحول المزارع والقرى وضواحي المدن. وتفضل الذكور عادة الغابات ذوات الأشجار المتساقطة الأوراق، أما الإناث فتفضل الحقول والمناطق المفتوحة. تصطاد الذكور فرائس متوسط وزنها ٤٠ جم، وأحياناً يصل وزنها إلى ١٢٠ جم، أما الفرائس التي تقنصها الإناث فيكون وزنها في المتوسط ١٥٠ جم، وأحياناً تصل إلى ٥٠٠ جم أو يزيد.

ويقنص الجنسان تقريباً كل أنواع الطيور التي يجعلها شكلها أو سلوكها واضحة ظاهرة سهلة القنص. وقد سجل ١٢٠ نوعاً من الطيور يفترسها الباشق معظمها طيور بالغة أو يافعة، والقليل منها أفراخ أو جيف. وأحياناً يفترس الثدييات الصغيرة، ونادراً جداً ما يأكل بعض أنواع الحشرات من رتبة غمدية الأجنحة (الخنافس والجعلان) ورتبة مستقيمة الأجنحة (الجراد والنطاط). وربما قتل السحالي والعظايا لكنه لا يأكلها. وقد وجدت بقايا نباتات أحياناً في قوانص بعض هذه الطيور ربما تكون من بقايا فرائسها. وتشكل العصافير، خاصة العصفور الدوري أو المنزلي، نسبة عالية من فرائسها قد تصل في بعض المناطق إلى ٤٠٪. ويعتبر العصفور الدوري أو المنزلي من أهم فرائسها في وسط أوروبا، ويقل عن ذلك في شمال أوروبا وبريطانيا.

ومن الأنواع الكبيرة الحجم التي يفترسها، خصوصاً في الشتاء، أنواع الحمام والقنابر والقطا والحجل والدراج. ومن الثدييات سجل ١٧ نوعاً يفترسها الباشق أكثرها من جرذان الحقول والزبَّابات والأرانب البرية الصغيرة وابن عرس والخلد والفئران والجرذان والسناجيب والخفافيش. ولا تشكل الثدييات إلانسبة ضئيلة من الغذاء (حوالي ٣٪)، إلا حيث تتوافر الفئران بكثرة فتزداد نسبتها بين الفرائس.

ويحتاج الذكر البالغ إلى وجبة قدرها من ٤٠ إلى ٥٠جم في اليوم، وتحتاج الأنثى البالغة إلى وجبة تتراوح بين ٥٠ و٧٠جم يومياً.

مواطنه وهجرته. ينتشر في مناطق الغابات على جميع الارتفاعات خصوصاً في الأجواء الباردة، ممتداً من منطقة البحر المتوسط، مروراً بالمناطق المعتدلة إلى المناطق الشمالية الباردة، فالمناطق تحت القطبية. وينتشر في شرق أوروبا وغرب آسيا في ألبانيا ورومانيا واليونان وسوريا وفلسطين والعراق. ويفضل لتعشيشه مناطق الغابات الصنوبرية الكثيفة الجيدة غير المتدهورة، وكذلك الغابات الصنوبرية المختلطة مع الأشجار المتساقطة الأوراق، وقليلاً ما يوجد في الغابات ذوات الأشجار المتساقطة الأوراق. يصطاد في المناطق ذات النباتات والأشجار الكثيفة، التي تتيح له التخفي ثم الانقضاض على الطيور الصغيرة. وليس في المناطق الجافة أو الأراضي الرطبة أو الجبلية، إلا إذا توافر فيها الغطاء النباتي الذي يرغبه.

وقد نقصت أعداده نقصاً شديداً في إنجلترا وفرنسا والبرتغال، التي يكاد يكون قد انقرض منها تماماً، وكذلك في إسبانيا وبلجيكا ولوكسمبورج وهولندا وألمانيا والدانمارك والنرويج والسويد وفنلندا وبولندا والتشيك وسلوفانيا والمجر وسويسرا وإيطاليا وجزر سردينيا وسيشل ورومانيا ودول الإتحاد السوفيتي السابق ومادیرا وجزر الكناري. وقد تصل النسبة المئوية لانخفاض الأعداد في بعض هذه المناطق إلى ما يزيد عن ٨٠٪ أي أنه أصبح مهدداً بخطر الانقراض فيها.

وهو شديد الحساسية لفعل مبيدات الآفات، التي قد توجد بقاياها في الفرائس التي يأكلها من الطيور التي تتغذى على حبوب النباتات المرشوشة بهذه المبيدات. وقد تعرضت أعداده إلى نقصان شديد بسبب مبيدات الآفات، فنقصت لموت الطيور البالغة، وانخفاض معدل وضع البيض، وانخفاض معدل الفقس لأن قشرة البيضة تصبح أرق، ولا يستكمل الجنين نموه فيها.

الطيور الموجودة في المناطق الشمالية مهاجرة، أما التي في المناطق الجنوبية فلا تهاجر، وبعضها يبقى مقيماً في موطنه، وبعضها ينتشر منه دون هجرة وتهاجر الطيور إلى جنوب أوروبا ووسط روسيا وشمال البحر الأبيض المتوسط وجزر البحر الأبيض (كورسيكا، قبرص، سردينيا)، وشمال وشمالي شرق

إفريقيا والشرق الأوسط. والطيور اليافعة أكثر ميلاً لـلهجرة من الطيور الـبالغة، والذكور أكثر ميلاً للهجرة من الإناث. تهاجر الـطيور عبر مضيق جـبل طارق ومضيق الـبوسفور، حيث تـصل ذروة هجرتها في أواخر شهر سبتمبر والنصف الأول من شهر أكتوبر، أي بعد أسبوعين من هجرة البيدق. وتعود إلى المنطقة أثناء رحلة العودة في أواخر شهر مارس وأوائل شهر إبريل.

الطيور المتوطنة في انجلترا مقيمة لا تهاجر لكنها تنتشر إلى مسافات قصيرة، ويحدث معظم هذا الانتشار خلال تسعة الشهـور الأولى التي تمر بعـد استقلال الصغار عن أبـويها. أما الطيور البالغـة فمقيمة جميعها غالباً لا تنتشر ولا تهاجر. وتمر أعداد صغيرة أو متوسطة من الطيور الشمالية مهاجرة من مواطنها إلى إفريقيا عبر مـضيق جبل طارق وقـنال سيشل وتركيا. وهي الطيور التـي تزور غابات السودان عادة في الشتاء، ويصل القليل منها إلى أثيوبيا. وقد سجل وجود الطيور بأعداد قليلة جداً أحياناً في الصحراء الليبية وفي كينيا وتانزانيا.

سلوكه وتزاوجه. يعيش الباشق أكثر ما يـعيش منـفرداً ولكنـه خلال فصل التزاوج يتـخذ له منطقة تعـشيش يذود عنها، كـما يصيد منفرداً أيـضاً. وعند توافر الفرائس يفضل كل طائر عدداً قليلاً من الأماكن مركزاً لنشاطه لكنه لا يحميها من الطيور الأخرى، حيث يمكن أن يصيد عدداً مـن الطيور فـي منطقـة واحدة، ويكون ذلك عادة في أوقات مختلفة من اليوم. وعند توافر الفـرائس يشترك في الصيـد طائران معاً فـي الوقت نفسه. وسجلت حالات لذكر وأنثى يصطادان معاً، لكن لا يوجد دليل عـلى حدوث تعـاون بين الزوجـين في إتمام عـمليـة الصيد، أي أن كلا منهما يصيد مستقلا عن الآخر.

يصل مدى منطقة انتشار هذه الطيور إلى ما بين ١٦٧ و٥٤٦ هـكتاراً للذكر في المناطـق الجيدة الغذاء، وللإناث ما بين ٤٦١ و١٦٧٦ هكتاراً. وتبقى الطيور في المكان نفسه لعدة أيام ثم تنـتقل إلى مكان آخر داخل منطقة انتشارها. وتتركز الإناث حول النقاط التي يبدأ عندها عبور البحار وتطير الطيور منفردة أثناء الهجرة، وربما تخـتلط مع أنواع أخرى مـهاجرة مثل الغربان أو البيدق.

الذكر أحادي الزوجة يرتبط بأنثى واحدة لفصل تزاوج واحد على الأقل. وإذا مات أحـد الزوجين فـإن الزوج الآخر يستبدل به زوجاً جديداً في الموسم

نفسه. ومن الأكثر شيوعاً أن يتفرق الزوجان بعد موسم التزاوج ولا يستمر الارتباط بينهما لعدة مواسم، وإذا حدث هذا فيكون في منطقة التعشيش نفسها.

يبدأ تكوين الأزواج قبل وضع البيض بحوالي ٣ شهور. وقد سجل عدد قليل من الحالات اتخذ فيها الذكر أنثيين في الوقت نفسه، استخدمتا عشاً واحداً في بعض الحالات واستخدمتا عشين منفصلين في حالات أخرى. ويتم التزاوج في السنة الأولى من عمر الطائر ويحدث هذا في الذكور بنسبة تتراوح بين ٦٪، ٥٠٪ حسب المناطق التي تعيش فيها، بينما يحدث في الإناث بنسبة أقل تتراوح بين ٤٪-٢٦٪. ويميل الذكر إلى أن يتزاوج مع أنثى من نفس عمره.

وعلاقة الأبوين بالأفراخ هي نفس العلاقة التي تميز جنس البزاة، لكن المهام موزعة بين الأبوين توزيعاً أكمل مما هو عليه في البازي، فالذكر هنا يقوم بإحضار كل الطعام المطلوب لكل عائلته أو معظمه، ويستمر على ذلك الوضع حتى تنمو الفراخ نمواً جيداً (أي يصل عمرها إلى ٣ أسابيع)، وتساعد الأنثى في إحضار الطعام بعد ذلك، ولكنها لا تطير لإحضار الطعام بعيداً عن منطقة تعشيشها قبل أن ينبت للصغار ريش الطيران. ويختلف هذا الوقت فقد يكون بعد ١٢ يوماً فقط من فقس البيض أو يزيد على ذلك كثيراً. ولا يتعامل الذكر بشكل مباشر مع الصغار حتى لو فُقِدت الأم، فإطعام الصغار تقوم به الأم وحدها. ولا يزور الذكر العش إلا نادراً، وعادة يكون ذلك في غياب الأنثى عن العش. وتستمر علاقة الأبوين بالفراخ لمدة ٣ إلى ٤ أسابيع بعد أن ينبت للصغار ريش الطيران، ثم قد ترعى الأم أفراخها اليافعة رعاية تامة أو يرعاها الذكر.

والعلاقة بين الفراخ أكثر تراحماً مما هي عليه في البازي. والفرخ الذي ينفق تأكله الصغار الأخرى أو الأم. كما تقتل الأنثى أيضاً الفرخ القزم الذي لا يكبر. وتغادر الفراخ الذكور العش قبل الإناث، وتنتشر خلال ٢ إلى ٣ أسابيع (مقابل ٣ إلى ٤ أسابيع في الإناث) بحيث يذهب كل طائر منها مستقلاً إلى طريق. وفرخ الباشق الذي يؤخذ من وكره يسمى الغطراف. وأنثى الباشق تسمى الفويسقة، وقيل إن الفويسقة هي صغاره لا أنثاه (الباشا ١٩٨٣: ١١٥).

تتخذ الأزواج أعشاشها مستقلة متباعدة بمسافة كبيرة. وأقل مسافة

سجلت بين العشوش كانت ٣٠م، ولكن سجلت مسافة ٢٢م بين عشين لأنثيين لذكر واحد. ويشغل كل زوجين من الطيور عشاً خاصاً داخل منطقة تعشيش يذودان عنها فلا يغشاها غيرهما. وقد يبقى الزوجان في منطقة تعشيشهما عاماً بعد آخر بل قد يتوارثها الأبناء.

يقوم الذكر أثناء التعشيش بإحضار الطعام المطلوب كله لمدة ٧ إلى ٨ أيام في البداية، ثم يقل معدل إحضاره للطعام، حيث تبدأ الأنثى في ممارسة الصيد، وإحضار بعض الطعام بنفسها. وفي أواخر فترة التعشيش، يتساوى الذكر والأنثى في معدل إحضارهما للطعام إلى العش. ويقوم الذكر بتمزيق الفريسة عادة، وإن لم يمزقها مزقتها الأنثى، حيث تمسكها بقدميها ثم تمزّقها مبتدئة برأسها، ثم تقطع قطعاً صغيرة من اللحم، تضعها في أفواه أفراخها بالتناوب. ويأكل الصغار في البداية العضلات الحمراء، أو بعض الأحشاء مثل القلب والكبد والرئتين، ثم عندما تكبر تأكل الأجزاء الأخرى أيضاً. وعندما يكبر الصغار وتبدأ في الأكل مستقلة بنفسها يمكن للواحد منها أن يأكل فريسة كاملة بمفرده.

ويستعرض الذكر والأنثى فوق منطقة التعشيش عادة، ويكون الاستعراض لإظهار السيادة على منطقة التعشيش، كما يكون أيضاً للغزل ودعوة الجنس الآخر استعداداً للتزاوج. وتستعرض الإناث أنفسها أكثر مما تستعرض الذكور، وكما هي حال البازي يظهر الطائر المستعرض ريش كواسي ما تحت الذيل الأبيض اللون أثناء الطيران وأثناء الجثوم على فروع الأشجار العالية ويقوم بفرد الذيل ورفعه إلى أعلى من الخلف والترويح به.

ويتساقط ريش الطيور البالغة تساقطاً كاملاً في الفترة من شهر مايو أو شهر يونيو إلى شهر سبتمبر. وأجود أنواع الباشق في الصيد ما أخذ فرخاً قبل أن يلقي شيئاً من ريشه. ويضرى الباشق على الصيد بالطريقة نفسها التي يضرى بها البازي، كما يقرنص مثل قرنصته مع اختلاف يسير (الباشا ١٩٨٣ : ١٥٥).

ذكره في مأثور القول والأدب. جاء في رسالة لبعض فضلاء الأندلس يصف الباشق ما يلي:

كأنما اكتحل بلهب، أو انتعل بذهب. ملتف في سبره، وملتحف في حبره. من سيوفه منقاره، ومن رماحه أظفاره. ومن اللواتي تتنافس الملوك فيها، تمسكها

عجباً بـها وتيها. فهي علـى أيديها آية بادية، ونعمة مـن الله نامية. تبذل لك الجهد صراحاً، وتعيرك في نـيل بغيتك جنـاحا. وتـتفق فـي طلـب الأرزاق، وتـأتلـف بك عـلى اخـتلاف الخـلق والأخلاق. ثم تلوذ بك لياذ من يرجوك، وتفي لك وفاء لا يلتزمه لك ابـنك ولا أخوك.

وقال ذو الرمة في الباشق:

يـحـك أنـى شـاء حـك الـباشـق
قـوبـل مـن آفـقـة وآفـق

وقال البارودي:

ولـكـن دعـتهـم نـبـأة فـتـفـرقوا
كما انقض في سرب من الطير باشق

وقد ورد في الشعـر الشعبي تشبيه الرجل الخامل بفرخ الباشق، قال حميدان الشويعر:

كـم ترفـعَ الامْوالْ مـن فَرْخْ بـاشق
تَـعلّـى علـى حِـرٍ بْكـقّـيه فـارسه

البيدق

صفاته وسـلالاته. طائر من البزاة، والكلمة فارسية معربة معناها راجل، ومنه بيدق الشطرنج، وهو بيدق وبيذق وجمعه بيادق وبـياذق. قال الدميري: وهـو لا يصيد إلا العصافير، وهو قليل الغنـاء، أي إنه لا يغني صاحبه لقلة صيده، وقلما وجد في نوعه ما هـو فاره كريم. وهو قريب الطبع من العَفْصى الذي هو أصغر الجوارح نفساً، وأضعفها حيلة، وأشدها ذعراً، وأيبـسها مزاجاً، ويشـبه البيدق الباشق فـي الشكل إلا أنه أصغر منـه. وربما يكون هو الطائر الذي يطلق علـيه أهل البادية السبوط.

يبلغ طول جسم الطائر من ٣٠ إلى ٣٦سم بما فـي ذلك طول الذيـل الذي يبلغ من ٩ إلى ١٣سـم. وتبلغ المسافة بين طرفي الجناحين المـفرودين تماماً من ٦٠ إلى ٧٠سم. وهو أصغر حجماً من الباشق، وحجم كل من الذكر والأنثـى يشابـه حجمهـما في القـيمي، ولكـن الجناحين والذيل أقصر. الذكر أصغر من الأنثى بحوالي ٢٠٪، يتراوح وزن الذكر من ١٣٦ إلى ١٩٣جم، ومتوسط وزن الأنثى ٢٦٦جم. وهو بازي صغير جيد البنيان. أطراف الجناحين مدورة نوعاً تشبه في ذلك البومة.

وهو بلون الريش أقرب إلى القيمي منه إلى الباشق لكن الفرق بين اللونين الداكن والأبيض أقل وضوحاً فيه عما هو علـيه في القيمـي (تضاد اللونين أقل في الـبيدق). وهناك خط أسـود واضح متوسـط على الحلق، ويعـتبر علامة تشخيصية للطير البالغ من هذا

النـوع. ويتشـابه الذكر والأنـثى في الشكل. ولا يتغـير لون الريش بتغير المواسـم. ويختلـف لون الريش فـي الطيور اليافعة عنه في الطيور البالغة. ففي الذكر البالغ تكون الأجزاء العليا رمادية مزرقة شاحبة أفتح مما هي عليه في الـقيمـي، وقمم الأجنـحة سود داكنة. كما توجد خطوط سود داكـنة أيضاً على الذيل، ولا توجد علامات مميزة على الوجه، ولكن الخط الأسود على مـنتصف الحلـق واضح ويُمَيزهُ عن القيمي. والأجـزاء السفلى صفر برتقـالية شاحبة الـلون جداً مع كون الأفخاذ ومنطقة المذرق بيضاء اللون. والصدر مخطط تخطيطاً خفيفاً باللون الأصفر البرتقالي، المشوب بالوردي.

أما السطح تحت الجناح فأبيض اللون مشوب بغبرة، مع آثار من اللون الوردي البرتقالي المصفر الفاتح على الكواسي، وهنـاك تخـطيط خـفيـف على ريـش الطيران. وتكون قمم أطول القوادم الأربع أو الخمس سـود داكنة اللون، ولـذلك فإن اسوداد أطراف الجناح يكون أقل كثيراً عما هو عليه في القـيمي. يظهر الذيل المقفل، أي مضموم الريش، داكـناً كما هي حال القـيمي ولكن يوجد علـيه ٥ إلى ٦ خطوط.

واختلاف شكـل ريش الأنثى عن ريش الذكر البـالغين أقل مما عليه فـي الأنواع الأخـرى من الجـنس نفـسه. الأجزاء العليا لونها أكثر اردوازية، أي رمـادية داكـنـة ضـاربة إلـى الـلـون الأرجواني، وكواسـي ما تحت الجناح والصدر أوضح تخطيطاً باللون الوردي البرتقالي المـصفر. وتظهر قمة الجناح السوداء على ريشتين أو ثلاث فقط هي أطول القوادم (مقارنة بـ ٦ ريشات على الأقل في الذكر).

وتشبه طريقة الطيران تماماً طريقة سائر أنواع جنس البزاة، فهو يـقوم بعدد من الاندفـاعات السـريعة وراء الـفريسـة، يتـخللهـا طيران لمسـافات قصيـرة بين الأشجار أو الأكمات. يتبع أحياناً خطوط طيران أكثر تعرجاً من غيره من الأنواع، أثناء تحويمه في دوائر ضيقة.

يقل اعتماد البيدق على فرائس الطير عن غيره من الأنواع اليافعة لجنس البزاة، فهو يكاد يكون متخصصاً بصيد العظايا. وهو يرصد ضحاياه من العظايا عادة في أماكن مستترة من أعالي الأشجار متخفياً، وهو واقف في وضع منتصب وعنقه ممتد إلى الأمام.

يتغذى البيدق أساسـاً على العظايا والحشرات الكبيرة الحجم، كما يفترس

أيضاً الطيور الصغيرة الحجم. ويفضل أن يصيد برصد الفرائس، من خلال الغطاء النباتي الكثيف، حيث يتتبع فرائسه التي يرصدها في حركات متتابعة سريعة، وأحياناً ينقض ليأخذ فرائسه من العظايا من الشقوق في جدران المنازل. وفي مناطق الأحراج الإفريقية، ينتقل من شجرة إلى أخرى في طلعات طيران قصيرة، وراء الفرائس هابطاً قريباً من سطح الأرض متتبعاً إياها، حيث يصطاد معظمها وهي على سطح الأرض، ويصطاد القليل منها وهي طائرة.

في شمال دول الاتحاد السوفيتي السابق أكثر فرائسه من العظايا والحشرات التابعة لرتبتي غمدية الأجنحة (الخنافس والجعلان)، ومستقيمة الأجنحة (الجراد والنطاطات)، والطيور الصغيرة، والبرمائيات كالضفادع وفي كازاخستان القوارض الصغيرة والعظايا والسحالي والضفادع والحشرات وقليل من الخفافيش. وقد يفترس بعض أنواع الطيور الصغيرة مثل آكل النحل والعصافير التي كثيراً ما يحصل عليها من أعشاشها في أسقف المنازل.

مواطنه وهجرته. يعيش في مناطق الحشائش المفتوحة (السافانا) والغابات ذوات الأشجار المتساقطة الأوراق. وهو طير جريء لا يفزع، يزور المزارع والقرى وحواف المدن بانتظام، ويحب مجاري المياه.

ورغم أنه لا يبتعد عن الأشجار إلا أنه أقل ارتباطاً من الباشق بالغابات ذوات الأشجار المستديمة الأوراق والمتساقطتها. وهو أكثر تأقلماً في البيئات الحارة الجافة وفي المناطق المنخفضة أساساً في حوض البحر الأبيض المتوسط، وفي مناطق الحشائش المفتوحة حتى أطراف الصحراء على ارتفاع أقل من ١٠٠٠ إلى ١٢٠٠م فوق مستوى سطح البحر. وكثيراً ما يوجد في مناطق المزارع والبساتين والغابات النهرية والواحات والمناطق المشجرة، حتى في منطقة الأشجار القصيرة التي لا يتعدى ارتفاعها خمسة أمتار. وهو كثير التحويم عالياً مع الطيران في دوائر ضيقة.

يتكاثر أحياناً في المناطق القطبية الغربية في دول الاتحاد السوفيتي السابق مثل أذربيجان. ومعظم طيور هذا النوع الشمالي مهاجرة، أما الطيور الموجودة في باكستان فتقيم ولا تهاجر. تتجه الطيور المهاجرة من دول الاتحاد السوفيتي السابق إلى الجنوب أو الجنوب الشرقي (وفي ذلك تختلف عن القيمي) عبر

إيران وأفغانستان، حيث تشتو على الحدود الجنوبية لمنطقة انتشارها في بلوخستان الإيرانية وباكستان وشمالي غرب الهند إلى منطقة السند وباهاوالبور والبنجاب. وتبكر الطيور المهاجرة في رحلة الذهاب وتتأخر في رحلة العودة وتحدث نفرة الخريف في شهر سبتمبر، وهناك أعداد قليلة تتأخر إلى أوائل شهر أكتوبر.

ويكون وصول معظم الطيور في الربيع، خلال النصف الثاني من شهر إبريل، والقليل منها يستمر حتى شهر مايو. وقد شوهدت بعض الطيور في أثيوبيا، شمال وجنوب خط الاستواء. وفي المناطق الغزيرة الأمطار يتكاثر في الفصل الجاف، قبل هجرته شمالاً إلى مناطق أكثر جفافاً. وفي المناطق شبه الصحراوية يتكاثر خلال الفصول المطيرة القصيرة، قبل تحركه إلى مناطق أقل جفافاً.

سلوكه وتزاوجه. يعيش منفرداً أو في أزواج. يتخذ الذكر أنثى واحدة، ويرتبط بها لموسم تزاوج واحد على الأقل. يستطيع التزاوج في عمر سنة. وكلا الذكر والأنثى يرعيان الفراخ، وهناك تخصص واضح في العمل لكل منهما. يحمل الزوج الفرائس (الطعام) إلى العش، وتقوم الأنثى بإطعامه للفراخ. تعتمد الصغار على أبويها لمدة شهر تقريباً بعد إنبات ريشها، وتبقى مرتبطة مع أبويها لمدة أطول بعد ذلك. وتظل الطيور اليافعة في منطقة التعشيش حتى في موسم التزاوج التالي. يعيش الزوجان مستقلين في عش داخل منطقة تعشيش يسيطران عليها. تبعد العشوش بعضها عن بعض مسافة متوسطة طولها ١,٦ كم في البيئات المرتفعة بأفريقيا. قد يعود الزوجان إلى العش نفسه مرة أخرى، ولكنهما عادة يتخذان عشاً جديداً في كل موسم. مدى منطقة الانتشار يزيد عن ٩٠ هكتاراً.

والبيدق طائر نشيط الطيران، يطير غالباً مرتفعاً مع خفق الأجنحة ثم التحويم. وأثناء فصل التزاوج يصدر كل من الذكر والأنثى كثيراً من الجلبة الصوتية وهما يستعرضان راقصين أثناء الطيران في دوائر إلى أعلى، ثم ينحدران متجهين أحدهما نحو الآخر. ويحدث الغزل بين الذكر والأنثى قبل موسم وضع البيض بفترة ليست قصيرة مع إطلاقهما لصيحات عالية. ويحدث الاستعراض الهوائي الراقص بأن يبدأ أحد الزوجين في الطيران المتعرج عالياً مع خفق الجناحين بسرعة خفقاً خفيفاً

ضحلاً، ثم يطير منطلقاً إلى الأمام مع ضربات قوية بالجناحين وفرد ريش الذيل، ثم ينحدر إلى أسفل بسرعة لفترة قصيرة والجناحان مضمومان. ويكرر هذا العرض عدة مرات، يفصل بينها الطيران المتعرج في دوائر. ويكون الزوج الثاني، أثناء ذلك، يراقب الزوج الآخر وهو محلق إلى أعلى في دوائر. ومن المعتقد أن صاحب الاستعراض الراقص هو الذكر غالباً وقد تشارك فيه الأنثى أحياناً. وقد يتبادل الذكر والأنثى أداء الاستعراض الهوائي الراقص، بعد أن يطارد أحدهما الآخر بين الأشجار لفترة تطول أو تقصر وهما يطلقان صيحات عالية. وقد يقوم الطائر بأنماط استعراض غزلي أخرى.

تضع أنثى البيدق بيضها في شهر مايو خلال فترة ١٠ أيام في عش تبنيه على فروع شجرة يرتفع عن سطح الأرض بحوالي ٧م إلى ١٣م. وأحياناً تستخدم العش القديم، ولكنها غالباً تبني عشاً جديداً كل موسم تزاوج، ويكون قريباً عادة من موضع العش القديم. يتكون العش من أفرع الأشجار الرفيعة، ويتراوح قطره من ٢٠ إلى ٣٠سم، وارتفاعه حوالي ١٥سم، وتبطنه ببعض الأوراق الخضر. وتقوم الأنثى بمفردها ببناء العش، حيث تكسر الأفرع من الأشجار بمنقارها، وتحملها به إلى مكان العش المختار. وتقوم بهذا النشاط خلال فترات الصباح، وتستغرق نحو ١٠ أيام لبناء العش.

متوسط وزن البيضة ٢٠جراماً، ومتوسط عدد البيض الذي تضعه الأنثى يتراوح بين ٣ إلى ٤ بيضات (من ٢ إلى ٧ بيضات). وإذا فُقِدَت المجموعة الأولى من البيض، يمكن للأنثى أن تضع مجموعة أخرى، وقد يتكرر ذلك مرتين، بحيث لا يزيد عدد البيض في المجموعة الثانية عن ٥ بيضات، وفي المجموعة الثالثة عن بيضتين. مدة حضانة البيض من ٣٣ إلى ٣٥ يوماً. وتحضن الأنثى فقط البيض. ويحضر الذكر الطعام إلى العش حيث تقوم الأنثى بتمزيق الفريسة، وإطعام الفراخ منها. وقد يشترك الذكر مع الأنثى في إطعام الفراخ بأن يقوم بتمزيق الفريسة إلى قطع صغيرة تتولى الأنثى تلقيمها للصغار في أفواهها. ولم تسجل حالة واحدة يقوم فيها الذكر مباشرة بإطعام الفراخ بنفسه. ينبت ريش الفراخ بعد أكثر من ٣٠ يوماً من الفقس.

ذكره في مأثور القول والأدب. قال أبو الفتح كشاجم يصف البيدق:

حسبي من البزاة والبيادق
ببيدق يصيد صيد الباشق
مؤدب مدرب الخلائق
أصيد من معشوقة لعاشق
يسبق في السرعة كل سابق
ليس له في صيده من عائق
ربيته وكنت غير واثق
أن الفرازين من البيادق

القيمي

صفاته وسلالاته. نوع صغير من البزاة يسمى في اللغة الإنجليزية صقر العصافير المشرقي، ويسمى الباشق صقر العصافير فقط. ويذكر الباشا أنه لم يتعرض أحد من أصحاب كتب البيزرة لهذا الجارح سوى كشاجم في كتابه المصايد والمطارد وكل ما قال فيه إنه باز قضيف، أي دقيق نحيل، ذاهل النفس. ولم يورد كشاجم فيه شيئاً من الشعر مثلما فعل مع الجوارح الآخرى (الباشا ١٩٨٣: ١١٧). ويعتقد البعض أنه هو الطائر الذي يطلق عليه أهل البادية مسمى الحموق أو الحميميق، والحقيقة أن هذا الأخير نوع آخر غيره.

يبلغ طول الطائر من ٣٢ إلى ٣٨سم (طول الذيل من ١٣ إلى ١٦سم). وتبلغ المسافة بين طرفي الجناحين المفرودين من ٦٥ إلى ٧٥سم. يماثل الباشق تقريباً في حجمه. وهو أطول جناحاً وذيلاً من البيدق. الفرق في الحجم بين الذكر والأنثى أقل مما هو عليه في الباشق. وقد تزيد بعض الإناث في الحجم عن الذكر بحوالي ١٠٪ فقط. طائر نحيل متوسط الحجم يقارب في صفاته الشكلية الصقر الحر خاصة الذكر. قد يزيد الذكر في حجمه بحوالي ١٠٪ عن ذكر الباشق. يتراوح وزن الذكر بين ١٥٥ و٢٢٣جم ووزن الأنثى بين ٢٣٢ و٢٧٥جم. تكون الأجزاء الظهرية العليا في الذكر البالغ زرقاء رمادية، وريش الطيران أدكن لوناً. الرأس زرقاء رمادية في معظمها، وتخلو الوجنات من الحمرة التي تميز الباشق. السطح السفلي أبيض مشوب بلون أصفر برتقالي أو وردي على الصدر، وعلى كواسي أسفل الجناحين مع تخطيط أقل مما هو عليه في الباشق. سطح باطن الجناح أبيض واضح مع قوادم نهايات ريشها سود.

أما الأنثى البالغة فتكون الأجزاء الظهرية العليا منها بنية رمادية داكنة. ولون الرأس يشابه لون رأس الذكر، مع وجود منطقة بيضاء خفيفة جداً فوق العين (حاجب) ليست واضحة وضوحها

في أنثى الباشق. لون الأجزاء السفلى يشبه الباشق، ولكن ما تحت الجناح أشحب لوناً مع وضوح أطراف الجناح السود، وكونها أكثر دقة مما هي عليه في الباشق، وبذلك يسهل تمييزها عنها. كما أن باطن الذيل أكثر تخطيطاً مما هو عليه في الباشق، مما يجعله يبدو أدكن لوناً منه.

يشبه في طيرانه الباشق ولكنه أقل سرعة انقضاض، وأكثر منه ميلاً إلى التحويم، خصوصاً أثناء الهجرة. وهو طائر غير فضولي من طيور الغابات والوديان المشجرة. يعيش منفرداً، ويشبه في سلوكه الباشق شبهاً كثيراً. ويمكن رؤية أسراب كبيرة العدد منه أثناء الهجرة فوق طرقها التقليدية المعهودة خصوصاً فوق مضيق البوسفور. صيحته عالية مميزة.

ويتغذى القيمي أساساً على العظايا والسحالي الكبيرة، ويختلف سلوكه في الصيد عن أنواع البزاة الأخرى، حيث يطير باحثاً عن فريسته مُحوِّماً على ارتفاع من ٦ إلى ١٠م، وقليلاً ما يخفق بأجنحته، ويتخلل طيرانه الانحدار إلى الأرض على فترات. يصطاد في أزواج في غير موسم التزاوج. وأكثر الفرائس من الحشرات الكبيرة، مثل الجراد وفرس النبي والزواحف الصغيرة والثدييات الصغيرة والطيور الصغيرة كالعصفوريات، وقد يصطاد الحمام وآكل النحل والخفافيش.

وهو يطير منفرداً أو في أزواج، لكنه يصطاد في أزواج ويهاجر في أسراب كبيرة العدد. يتزاوج في عمر سنة ويرتبط الذكر بأنثى واحدة لفصل تزاوج واحد على الأقل. ويتعهد الزوجان الصغار مع تخصص في العمل، كما هي حال أنواع البزاة الأخرى. وقد يساعد الذكر الأنثى في إطعام الصغار في العش خاصة في الأيام الأخيرة. وتظل الفراخ في رعاية الأبوين لمدة أسبوعين على الأقل بعد إنبات الريش عليها. والعلاقة بين الصغار في العش حميمة غير عدوانية قبل إنبات الريش وبعده.

ويعشش منفرداً. ومتوسط المسافة بين العشين قصيرة لا تتعدى حوالي ١٠٠م. ويقضي القيمي ليله غالباً على فروع الأشجار، ويطير في النهار باحثاً عن الفرائس، وقد يهبط على الأرض أحياناً حتى في المناطق التي توجد فيها الأشجار.

مواطنه وهجرته. يعيش في المناطق المنخفضة ذات المناخ الجاف الدافئ في حياض الأنهار والسهول، وأيضاً أسفل سفوح الجبال على ارتفاع لا يزيد عن

١٠٠٠متر فوق سطح البحر، باستثناء أرمينيا التي يوجد فيها على ارتفاع ١٩٨٠متراً. ومثل غيره من البزاة يفضل المناطق ذات الأشجار الكثيرة الكثيفة، لكنه يفضل الأنواع العريضة الأوراق مثل القسطل والحور والبلوط، وحيث لا توجد مثل هذه الغابات، فإنه يعيش في الغابات النهرية والبساتين والمناطق المشجرة على أطراف القرى والمدن والأكمات. يطير عادة على أرتفاع ٦ إلى ١٠أمتار باحثاً عن فرائسه غالباً على الأرض ولكنه يحوم أحياناً خصوصاً أثناء الهجرة. وأحياناً يصيد فرائسه في الغسق عند حلول الظلمة.

وحدود منطقة انتشار هذا الطائر غير معروفة بالضبط لندرته، وقد سجل في ألبانيا قديماً، كما لوحظت أعداد قليلة جداً منه في المجر والتشيك وسلوفانيا وإيطاليا وقبرص وتونس والعراق، وكان موجوداً بوفرة في الصرب، وبأعداد أقل في بلغاريا ورومانيا، ولا يزال يتكاثر بأعداد قليلة في تركيا وأوكرانيا.

القيمي طائر مهاجر يختفي من مواطن تكاثره من شهر سبتمبر إلى منتصف شهر إبريل، ويمر في الخريف عبر مضيق البوسفور، من منتصف شهر أغسطس حتى أوائل شهر أكتوبر، وتكون ذروة عبوره خلال الفترة من ١٠ إلى ٢٢ سبتمبر، ويكون ذلك عادة في أسراب (بينما يهاجر الباشق منفرداً). وقد حصر عدد ٥٧٠ طائراً خلال الفترة من ١٩ أغسطس إلى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٧١. وكان أقصى عدد شوهد في سرب واحد هو ٢٢٤٣ طائراً في ١٥ سبتمبر.

تمر طيور دول الاتحاد السوفيتي السابق عبر القوقاز وشرق البحر الأسود إلى تركيا بأعداد أقل كثيراً (شوهد ٢٩٠ طائراً فوق مدينة بورصة، خلال الفترة من ٢٣ أغسطس إلى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٦م، بينما شوهد عدد ٢٩٥١ طائراً فوق خليج الاسكندرونة، خلال الفترة من ٢٩ أغسطس إلى ٢٣ سبتمبر ١٩٨٧م). وقد يصل في طريق هجرته إلى شبه جزيرة سيناء، ولكنه لا يستمر إلى باقي أجزاء مصر، ولا يعرف إلى أين يذهب بعد ذلك. وهناك حالات سجل فيها وجود أعداد قليلة جداً منه في أثيوبيا وزائير وتنزانيا والنيجر. ونادراً ما سجل وجوده في الجزيرة العربية جنوب خليج العقبة في الخريف، ولذلك فلا يمكن الجزم بالمنطقة التي يشتو فيها، ولكن يزداد العدد المار من شرق سيناء خلال الربيع، حيث

تم تسجيل عدة مئات من هذا الطائر في أواخر شهر أبريل.

حضانة البيض ورعاية الفراخ. تضع الأنثى البيض من منتصف شهر مايو إلى أوائل شهر يونيو في عش على فرع شجرة عريضة الأوراق متوسطة الارتفاع. وتتخذ عشا من فروع الأشجار قطره حوالي ٣٠سم وارتفاعه حوالي ١٥سم تبنيه بمفردها. تضع الأنثى من ٣ إلى ٥ بيضات في المجموعة الواحدة ومتوسط وزن البيضة ٢٢جم. ويمكنها في حالة فقد البيض أن تضع مجموعتين أو ثلاث مجموعات أخرى بديلة. مدة الحضانة من ٣٠ إلى ٣٥ يوماً، الأنثى فقط هي التي تحضن البيض، بينما يحضر الذكر الطعام إلى العش للأنثى والفراخ، حيث تطعمها الأم من الفريسة بعد أن تقوم بتمزيقها وقد يشترك الذكر مع الأنثى في إطعام الصغار في مرحلة لاحقة. ينبت الريش على الصغار خلال ٤٠ إلى ٤٥ يوماً وتبقى الصغار في العش بعدها قريبا من الأبوين لمدة أسبوعين، ثم تستقل بمعيشتها بعد ذلك. ويمكن للصغار أن تتزاوج بعد سنة من عمرها.

ويتساقط ريش الطيور البالغة كاملاً، فتتساقط القوادم بالترتيب التنازلي من أقدمها إلى أحدثها. ويبدأ تساقط الريش في الأنثى قبل الذكر. وينبت حوالي نصف القوادم في منتصف شهر يوليو تقريباً.

الزُّرَّق

صفاته وسلالاته. وتسمى الكوهية والحدأة السوداء الجناح أو السوداء الكتف. وقد عدها البيازرة وعلماء الحيوان العرب القدامى من البزاة وهي ليست منها، إذ إنها في حقيقة الأمر من الحدآت. وقد اختلط الأمر عليهم ربما لأنها أقرب شبهاً بالبزاة منها بالصقور. وقيل عنها إنها صقر أبيض في مصر، طائر يصاد به في حجم الباشق أو أكبر قليلاً، أسود الظهر، أبيض البطن، أحمر العينين، أصفر الرجلين. وقد عده الدميري صنفاً من البزاة لأنه أحمر العينين أو أصفرهما وهكذا البزاة، ومنه قول أبي نواس من أبيات أوردها الدميري:

كأن عينيه لحسن الحدقه
نرجسة نابتة في ورقه

وذكر شاكر (١٩٨٥: ١٩٤) أن الزرق هو الأبيض من البزاة، وذلك نقلاً عن العرب القدامى. والكوهي لفظة فارسية معناها الجبلي. قال صاحب

كتاب أنس الملا «إن الزرق ذكر البازي في كل جنس من أجناسه، وإن من يطلق عليه لفظ كوهية خطأ والصواب كوهى.» ويقول الباشا عن الزرق إنه صنف من البزاة، يجمع على زراريق وزرارقة، وهو بين البازي والباشق، أسود الظهر، أبيض البطن، أحمر العينين، أصفر الرجلين، إلا أن مزاجه أحر من مزاج البازي، لذلك كان أشد جناحاً وأسرع طيراناً وأقوى أقداماً. وهناك من يرى أن الزرق ليس صنفاً من البازي فحسب، وإنما هو ذكر البازي، لأن البازي عنده لا يكون إلا أنثى وذكره الزرق، وهو خطأ بالطبع.

والزرق ختال خبيث، ذلك أنه إذا أرسل على طائر ابتعد عنه وحلق في غير مطاردة، ثم عطف عليه من حيث لا يحتسب، وانقض عليه، وأظهر له الشدة بعد اللين. وخير ألوان الزرق ما كان أسود الظهر أبيض البطن أحمر العين. وأفره أنواعه ما كان أعدل خلقاً، وأقل ريشاً، وأثقل محملاً، وأملأ فخذاً، وأرحب شدقاً، وأوسع عيناً، وأصفى حدقة، وأصغر رأساً، وأطول عنقاً، وأقصر خافية، وأشد لحماً، وأن يكون إلى ذلك أخضر الرجلين، وسيع المخالف متعرياً من اللحم (١٩٨٣: ١١٦).

يبلغ طول الطائر من ٣١ إلى ٣٥سم منها ٨ إلى ٩سم للذيل. تصل المسافة بين طرفي الجناحين المفرودين بين ٧٥ و٨٧سم. وهو أصغر أنواع الحدآت. يبلغ متوسط البالغ من ٢٣٠ إلى ٢٣٥جم. وجهه بومي الشكل، ورأسه كبير. والأجنحة عريضة. واللون العام شاحب. هناك تباين واضح في اللون بين الأكتاف ذات اللون الأسود والسطح الأسفل للجناحين ذي اللون الرمادي أو الأبيض، مما يميزه عن غيره من الأنواع.

الجنسان متشابهان ولا يتغير لون ريشهما بتغير الفصول. لون السطح العلوي أو الظهري رمادي والوجه رمادي باهت أو أبيض، وكذلك السطح السفلي أو البطني والذيل. وهناك بقعة سوداء حول العين تؤكد الشكل البومي للوجه، وريش الكواسي في أعلى الجناح أسود اللون. العيون حمر اللون، المنقار أسود والجزء القاعدي اللينّ المحيط بأصله أصفر اللون.

تحوّم عند الطيران وأجنحتها مرفوعة بارزة إلى الأمام وتنقض بسرعة كبيرة على فريستها وأجنحتها مرفوعة في وضع رأسي فوقها. تطير عادة على ارتفاعات منخفضة، حوالي الثلاثين متراً، فوق الأراضي المفتوحة والمزارع عادة قرب

المياه. وتجثم على قمم الأشجار وأعمدة الهاتف. ومتوسط قطر العش من ٢٥ إلى ٣٠سم، وارتفاعه من ٨ إلى ١٠سم. تمتد منطقة انتشارها الطبيعية من جزيرة إيبريا (أسبانيا والبرتغال) في أوروبا إلى بلدان شمال إفريقيا في تونس والمغرب والجزائر وليبيا ومصر.

تتغذى على الثدييات الصغيرة والزواحف والطيور والحشرات. وتصطاد فرائسها بأن تحوِّم فوقها ثم تنقض عليها. تأكل فرائسها الصغيرة وهي تطير، أما الفرائس الكبيرة الحجم فتحملها إلى صخرة حيث تقف عليها وتمزقها وتلتهمها بعد أن تفصل رأسها أولاً، ولكنها لا تأكل الرأس.

سلوكه وتزاوجه. تعيش فرادى أو في أزواج، وقد تتجمع في أسراب كبيرة في المناطق التي يكثر فيها الغذاء مثل أسراب الجراد أو القوارض الصغيرة. يعيش الذكر مع أنثى واحدة لعدة سنوات ويتولى رعايتها هي والصغار حتى تصبح قادرة على الطيران، لكنه لا يطعم الفراخ.

تتراوح مساحة منطقة نشاط الطائر وسيادته من أقل من ٦, ٢كم مربع، في المناطق التي يتوافر فيها الغذاء إلى أكثر من ٩٠كم مربعاً، في الصحارى المفتوحة الفقيرة الغذاء، وهي تدافع عن هذه المنطقة ضد الطيور الجارحة الأخرى، خصوصاً إذا كان لديها فراخ صغيرة في العش. تنشط في الصباح الباكر وقبيل الغروب، وتجثم معظم النهار فوق أعالي الأشجار أو الصخور أو أعمدة البرق. وكغيرها من أنواع الصقور، تحوِّم عالياً في دورات حلزونية واسعة على ارتفاعات شاهقة، حيث سُجّل بعضها على ارتفاع ٩٨٠م فوق سطح الأرض. تدافع عن عشها بشراسة حتى إنها قد تهاجم الإنسان الذي يقترب منه.

ويتعاون الذكر والأنثى في بناء العش من فروع الأشجار الصغيرة التي يقطعانها من قمم الأشجار، ومن الحشائش والجذور التي يجمعانها من على الأرض. ويبني الزوجان عشاً جديداً كل عام، ربما على الشجرة نفسها، أو على شجرة أخرى قريبة. تضع الأنثى البيض في المدة من أواخر شهر فبراير إلى أوائل شهر أبريل. وتضع عادة من ٢ إلى ٦ بيضات، بمتوسط ٣ إلى ٤ بيضات، وبمعدل بيضة كل يومين إلى ٣ أيام. فإن لم يفقس البيض وضعت مجموعة أخرى من البيض مرة ثانية. وتتراوح مدة حضن البيض من ٢٥ إلى ٢٨ يوماً. وتحضن الأنثى البيض، وربما شاركها الذكر في

ذلك أثناء النهـار. يقوم الذكر بإحضار الطعام إلى العش وتقوم الأنثى بتـلقيمه للصغار في أفواهها. تطير الصغار في أواخر شهر يـوليو وتظل معتمـدة على أمها لعدة أسابيع بعد استطاعتها الطيران.

والزرق طائر يقبل التأديب ويساس كما يساس البازي، ويُضَرَّى مثل تضريته. فهو صنف مـنه، طبعه كطبعـه وصيده كصـيده وتأديـبه كتـأديبه وداؤه كـدائه وعلاجه كعلاجـه، ولا فرق بينهما إلا أن البازي أضخم جثة وأقدر على الصيد. ويصـيد الـزرق ما يصـيده الـبازي إلا الكركي. وعلى الرغم من ختله وخبثه ربما عـجز عن صيـد الحبارى. وعـلى الجملة فالزرق جارح أثير لدى هواة الصيد ومعدود في جملة جوارح الملوك (الباشا ١٩٨٣: ١١٦).

ذكره في مأثور القول والأدب. جاء وصف الزرق كـثيراً في الأدب العربـي القـديم، من ذلـك ما قـاله الـقاضـي التنوخي:

وبـــازيـــار حـــامـــل زرقـــا
عـلـــى كـبـار الـطـيـر طـيـارا
يـكـــاد مـن إحـكـام تـأديـبـه
يـفـهـــم مـا يـضـمـــر إضـمـارا
لـــذاك لـو يـــقـــدر مـن حـبـــه
قـــد لـــه خـــديـــه أســـيـــارا

وقال الناشئ الأكبر:

يـــاقـــانـــص أغـد عـــلـــيـــنـــا
بـــــزرق مـــحـــبـــبـــور
مـــنـــاهـــض لـــلـــبـــوازي
مـغـــالـــب لـــلـــصـــقـــور
لـــــه جـــنـــــاح وثـــيـــر
مـضـــاعـــف الـتـــنـــمـــيـــر
مـــظـــاهـــر بـــبـــرود
مـــبـــطـــن بـــحـــريـــر
وكـــف ســـبـــع هـــصـــور
مـــحـــجـــن الأصـــفـــور
ومـــنـــســـر ذو انـــعـــطـــاف
كـــقـــرن ظـــبـــي غـــريـــر
فـــي هـــامـــة كـــنـــفـــتـــه
كـــالجـــنـــدل المـســـتـــديـــر
وصـــــدر بـــاز طـــريـــر
مـــفـــوف الـــتـــحـــبـــيـــر
كـــأنـــه ثـــوب وشـــي
مـــعـــرج الـــتـــســـيـــيـــر
لـــه ظـــنـــابـــيـــب هـــقـــل
وعـــيـــن صـــقـــر ذعـــور
تـــخـــالـــهـــا حـــين يمـــتـــال
جـــذوة مـــن ســـعـــيـــر

الظنبوب: حرف عظم الساق، جمعه ظنابيب والهقل: الصغير من النعام. أما عبدالله بن المـعتز فله طردية في الزرق تقول:

وزرق مجرب مقدام ينهض غيب القف والآكام
صار من الحسن إلى التمام بمقلة تسرج كالضرام
كأنه فوق يد الغلام ينتهب البعد بطرف سامي
صبح له درع من الظلام القف: ما بين النشزين من الأرض،
ذي جؤجؤ كنمش الرخام والضرام: النار. وقال فيه أبو نواس:
أو أسطر دقيقة الأقلام قد أغتدى بزرق جراز
خفية الأحرف والإعجام محض رقيق الزف والطراز